

أبو عمرو بن العلاء

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

(لو كان أحد يبنى أن يؤخذ بقوله في كل شيء
كان يبنى أن يؤخذ بقول أبي عمرو بن العلاء)
يونس بن حبيب

الفرج:

ما بال هذا الشيخ العلاء بن عمار وابنه الفتي أبي عمرو
يضربان في إحدى صحارى اليمن مصمدين إليها ؟

أما أكبرهما فيجعله الشيب ويشبهه الوقر وتثني طلته عن
عراقة النسب وكرم التجار وإن كانت تبدو عليه رهبة الخائف
وخشية المطلب .

لكن الفتي أبو عمرو — وقد خنق بضاً وعشرين سنة —
تبين في تقاسم وجهه مخايل التجابة ولحات الذكاء ، ويطالملك
بالبصيرة الفاذة والفكر اللعاج ، وتوسم فيه لفحة المتطش إلى
انتهال المارف وارثشاف الطرم .

وبينا الصمت يسطر أجنحته على هذا القضاة المتراى إلا
ما تسمه من مس أخفاف الإبل وهي تلامس صفحة الرمال

من تنفيذية التوار اليونانيين . ويقول ممثلو حكومة اليونان في
هيئة الأمم إن الشعب اليوناني في منطقة الحكومة وفي منطقة
الثورة على السواء يرغب في السلم ، ولن يتم له تحقيق هذه الرغبة
إلا بوقف تدخل الدول المجاورة .

ويزد رأى اليونان أسوات سادة هيئة الأمم المتحدة وهم
الإنجلوسكسون ، وقد استطاعوا إقناع أعضاء الهيئة بتحويل
اللجنة الدولية في البلقان سلاحيات جديدة يمزها من الخلف
تقوذ لايك سكس عسى أن يستقر السلام في تلك المنطقة التي
هي برميل البارود في حروب أوروبا الشرقية .

ويقول تقرير نشر في لايك سكس مؤخراً إن اللجنة الدولية
المذكورة ممززة بقرار اللجنة العمومية قد مجتهد مبدئياً في تقريب
وجهاً النظر بين الحكومة اليونانية وجاراتها على أسس جديدة
قد تسفر — إذا استمر هذا الجوالهادى نسبياً الآن في البلقان —
عن خطوات عملية جديدة لتصفية نهائية ...

عمر عيسى

(نيويورك)

المنسطة ، انطلق صوت أعرابي يشذ السير وهو ينشد :

لا تضيقن بالأمور فقد تفرج غمناؤها بشير احتيالي
ربما نسكركه النفوس من الأمر له فرجة بكل النقال
فأقبل الشيخ وهو يظالم لفة تمكك عليه نفسه بساله عما

وراءه فكان جوابه : مات المجاج .

لك الحد ياربي انطلقت بها أساور العلاء قبل أن يترطب بها
لسانه بين فكليه ، وأخذت وسامة الارتفاع تجلوعن صفحته جهامة
الإفزع ؛ وأدار وجه راحته ليصرفها إلى البصرة بعد أن تقبل
التهنئة من فتاه بسلامته من طلب المجاج مما جعله يركب أهوال
الصحراء في طلب النجاة وقد ضم إليه ابنة خشيته أن تمتد إليه يد
الإيذاء . أما أبو عمرو فهو — كما يحدث من نفسه — كان أكثر فرحاً
بالإنشاد من سماعه بنبا الرواة . أليس ذلك الأعرابي يقول :
« له فرجة لكل النقال » بفتح الفاء من الفرجة لما كان مخرجاً من
الهم المنوى وهو يحفظها من قبل بالضم لما كان بين الشبثين الحسين ؟
تسب أبي عمرو :

اشتهر بكنيته أبي عمرو واسمه الحقيقي زيان بن العلاء بن عمار
ابن الريان بن عبد الله بن الحسين ، ويمتدح إلى مازن من تميم ، كان
من أشرف العرب ووجهاتها مدحه الفرزدق بقوله :

ما زلت أفتح أبواباً وأغلقها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار
وغضب مرة فهجاه ثم جاء إليه مستندراً فقال أبو عمرو :
هجوت زيان ثم جئت مستندراً من هجو زيان لم تهجو ولم تدع
ويكنى في مكانه من قبياته أن أباه كان من الرجال الذين
أجمعت إليهم أنظار المجاج فطلبه للقضاء عليه .

نسأته وسبوغه .

ولد بمكة في أواخر القند السابع من القرن الأول الهجري ،
وبها وبالمدينة كان تلقاه لكتاب الله حيث كان يسارع إلى حفظه
كل فتي من أهل الحرمين وغيرهما من الأمصار إذ ذاك . وكان
علاؤها يلقون روايات القرآن المختلفة عن رسول الله ويختارون
سما ما وافق شروطهم في الاختيار ؛ وكانت رواية هذا أو بعضه
تصد — بجانب رواية الحديث — أعظم ما يهتم به المتعلمون
وأكرم ما يسمى إليه الراغبون . ولكن أبو عمرو لم يدع أحناً
من نابهي القراء إلا تلقى عنه القراءة وهرتها عليه . وأقدم من
أخذ عنه من أهل مكة مجاهد بن جبر التوفى سنة ١٠٣ هـ وعطاء
ابن أبي رباح التوفى سنة ١١٤ هـ ، وعكرمة بن خالد الخزومي التوفى

سنة ١١٥٠، وعبدالله بن كثير أحد القراء السبعة المتوفى سنة ١٣٠،
ومحمد بن عيسى أحد القراء الأربعة عشر المتوفى سنة ٢٣٠،
ومحمد بن قيس الأعرج المتوفى سنة ١٣٠

وأخذ من شيوخ المدينة عن يزيد بن رومان المتوفى سنة ١٢٠
وأبي جعفر يزيد بن القاسم أحد القراء المشرة المتوفى سنة ١٣٠
وشيبه بن نصاح المتوفى سنة ١٣٠ وقد تلقى عن هؤلاء الثلاثة أيضاً
ناقح أحد القراء السبعة . ورحل إلى البصرة والكوفة فأخذ من
شيوخ البصرة عن نصر بن عاصم ويحيى بن يسر اللذين توفيا سنة ٩٠
القرآن والنحو ؛ وأخذ من الحسن البصري المتوفى سنة ١١٠ أحد
القراء الأربعة عشر القرآن ، وعن عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي
المتوفى سنة ١١٧ القرآن والنحو ، وتلقى بالكوفة القرآن عن سعيد
بن جبير المتوفى سنة ٩٥ وعاصم بن أبي النجود أحد القراء السبعة المتوفى
سنة ١٢٧ فأبو عمرو وهو أحد السبعة المشهورين إلى عهدنا هذا مع
بقية المشرة إلى الأربعة عشر ، أخذ عن كل من سبقه في السن
وشارك من قاربه إلا ابن عاصم بدمشق فإنه لم يأخذ عنه ولم يشاركه .
ولعل أبا عمرو لم يكن - كما يبدو من طلب الحجاج لأبيه - من
القريين إلى خلفاء بني أمية ، فلم يحاول أن يقدم عاصمهم ويأخذ عن
قارنهما عبدالله بن عاصم ، وبخاصة إذا علمنا أنه زار دمشق في دولة
العباسيين . ثم استقر به المقام في البصرة إلا ما ندر حيث شهادته له
إمامة القراءات والأدب بعد أن طوف بالأمصار وخاص البوادى
علمه :

ليس بالكثير على رجل كآبى عمرو ، وقد أخذ عن أعلام
الإسلام وأجلة العلماء أن تكون له مكانته في العلم ملحوظة ،
فيقول فيه تلميذه أبو عبيدة : كان أعلم الناس بالقراءات والعربية
وأيام العرب والشعر . وأن يقول تلميذه الأصمعي : سألت أبا عمرو
عن ألف مسألة فأجابني فيها بألف حجة . وأن يترأى أبو عمرو بما
وقفه الله إليه فيقول : لقد حفظت في علم القرآن ما لو كتب ما قدر
الأعمش على حمله . ويقول ما رأيت أحداً قبلي أعلم مني . ويزيد
الأصمعي على ذلك : ولم أر بعد أبي عمرو أعلم منه . وفيه يقول
تلميذه يونس بن حبيب : « لو كان أحد يفتنى أن يؤخذ بقوله في
كل شيء كان يفتنى أن يؤخذ بقول أبي عمرو بن العلاء »
وهو إلى جانب شيوخه الذين تلقى منهم كل من عاصره
كانت دقائمه ملء بيته إلى السقف .

أوبه :

يروى أبو عمرو الشيباني : ما سألت أبا عمرو بن العلاء من

حداد إلا قدمه على نفسه ، ولا سألت حداداً عن أبي عمرو إلا قدمه
على نفسه . وإن كتب الأدب واللغة لتروى شروح أبي عمرو وللشعر
وروايته له ودوقه الأدبي في تحبير أجودها ، فأبو الفرج في أغانيه
يقول : كان أبو عمرو يرى أن بشار بن برد أروع الناس بيتاً حيث يقول :
لم يغال ليلى واحسن لم أمم وتنى عنى الكرى طيف الم
وأنه أمدح الناس بقوله :

لمست بكفى كفه ابنتى النقى ولم أدر أن الخود من كفه يمدى
وأنه يقول : أحسن شعر قيل في العبر على النواذب قول
دريد بن الصمة :

تقول ألا تبيكى أخاك وقد أرى مكان البكال لكن بنيت على العبر
وأنه لم تقل العرب بيتاً قط أصدق من بيت الحطيئة :

من يقل الخير لا يدمم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
وكان يقول : أبو النجم أبلغ في الذمت من العجاج :

وكانت له موازعات بين الشعراء ، فهو يشبه جريراً بالأعشى ،
والقرظديق بزهير ، والأخطل بالنابغة . وكانت له تشبيهات جميلة :

من ذلك قوله : عليكم بشعر الأعشى فإني شبهته باليازى يصيد
ما بين المنديب إلى الكركي . وكان يقول : إنما شعر ذى الرمة

تقط عمروس تضحل عما قائل ، أو أبارظياء لها شم في أول شمها
ثم تمود إلى أرواح الأبقار . وعرض عليه قول عدى بن الرقاع :

لولا الحياء وأن رأسى قد عشا فيه الشيب ثرت أم القاسم
وكأنها وسط النساء أطارها عينييه أحور من جآذر جاسم

وسنان أنصده الناس فرقت في عينه سنة وليس بشام
فقال : أحسن والله ، وكان عنده شيخ مدني جالس فقال والله

لو سمعت لمن مديد في هذا الشعر لكان طربك أشد واحتجناك
أكثر . وكان أبو عمرو لكثرة ثقفه واتصاله بأهل البادية يرف

فصحاء القبائل فيقول : « أفصح الناس أهل السروات »
ولقد بلغ من قدرته أن وضع - كما اعترف - بيتاً من الشعر

دسه في شعر الأعشى وهو :
وأنا كرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلما
فلم يلبس صنمه إلا بشاؤ .

وقال الناس عليه وتمويهه :

إن رجلاً يلتم من العلم والأدب والسكينة ما بلغه أبو عمرو
يكون قبله الناس في عجمته ؛ فلقد روى أن الحسن مر بأبي عمرو

وحلقته متوافرة والناس مكوف فقال من هذا ؟ فقالوا أبو عمرو .
فقال لا إله إلا الله ! كادت العلماء أن تكون أرباباً ، كل عن لم

يؤكد بـعلم قال ذل يقول ٥ .

ولقد نبهت من تلاميذه من أصبحوا حجة في الأدب واللغة والنحو والقراءات ؛ فأبو عبيدة والأصمعي وأبو زيد الأنصاري والحليل بن أحمد ويونس بن حبيب ويحيى بن المبارك البزدي وماذين مسلم وسيبويه كلهم غرس يده وفيض بحره وثمره عليه فكل فضل ينسب إليهم يشاركون فيه ، وكل علم إنما هو الذي فتح لهم أبوابه وأما لم سوله .

زهرة :

إن هذه النفس الصافية التي انتعشت للعلم وتشره قد لجأت إلى بارئها وأخلصت له راجية أن يشمها بهفوه شاكرة له توهيته وجزيل نعمة ، فما كان يدخل شهر رمضان حتى ينقطع عن إنشاد الشعر ويحتم القرآن كل ثلاث ليال صرة . وكان تقش خاتمه :
وإن امرأ دنياه أكبر همه لستملك منها بحبل غرور
ولما بلغ به الفسك مذاه أحرق جميع دقاره التي كانت ملء
بيته إل السقف لينقطع إل قراءة القرآن .

أصول فرائده وأثر سبونه وقبيلة فسرها :

كان اشيوخ أبي عمرو في القراءة أثر ولقبيلته أثر .

١ - قسميل الحمز عادة لنوية للحجازيين تخالف قبيلة أبي عمرو، لكنه تأثر بشيوخه فكثيراً ما يشارك ناقصاً وابن كثير وأبا جعفر وابن محبوبين وهم قراء مكة والمدينة الذين أخذ عنهم أو شاركهم فيمن نقلوا عنه .

٢ - والإمامة عادة لنوية لقبيلته تميم ومن شاركها من سكان نجد ؛ لهذا كانت الإمامة من أصول قراءة أبي عمرو إلا أن إمامته لم تكن كبرى ، بل هي بين الصغرى والكبرى ؛ فليس كقراء الكوفة ولا كقراء الحجاز ، بل بين الذهبين . وغالباً ما يشاركه في الإمامة الأزدق من رواية ورش عن نافع إلا أن إمامة الأزدق صغرى ، وقد يزيد أنه يميل ما لا يميله أبو عمرو ، وقد تكفلت كتب القراءات بشروط كل منهم فيما يمال .

٣ - تسكين الوسط التحرك من تخفيف قبيلة أبي عمرو، ولهذا كان التخفيف مما يسلكه في قراءته وقد يشاركه فيه غيره ومع هنا قد يفتق مع نافع وابن كثير وأبي جعفر وابن محبوبين في فتح ياء التشكلم إذا وقعت بعدها همزة قطع مفتوحة مثل إلى أعلم ، ويفتق مع نافع وأبي جعفر في فتحها إذا وقعت بعدها همزة

قطع مكسورة مثل من أنصاري إلى الله .

٤ - الإدغام : يظهر أن الإدغام من عادة قبيلة تميم القوية . وللإدغام في القراءات أسباب وشروط ومواضع فإذا وجد الشرط والسبب وارتفع المانع جاز الإدغام . وأسبابه :

١ - تماثل الحرفين بأن يتحدوا مخرجاً واحدة كالباء في الباء

٢ - التجانس : بأن يفتق الحرفان مخرجاً ويختلفا صفة

كالدال في التاء .

٣ - التقارب : بأن يتقاربا مخرجاً أو يتقاربا صفة أو يتقاربا

مخرجاً وصفة . وقد اختص أبو عمرو بما يسمونه الإدغام الكبير فهو يحرص عليه ويمتاز به عن غيره من القراء ، وقد يشاركه بعضهم في نوع منه ، وقد تكفلت بتفصيل ذلك كتب القراءات أما اختلاف القراء في أن الفعل بالثنية أو الخطاب ، أو أنه رباعي أو ثلاثي أو أن الاسم متون أو غير متون ، وما شابه ذلك مما ليس من الأصول العامة ، ولا يعرف إلا عند قرش الحروف أي تلاوة الآيات ، فإن أبا عمرو كثيراً ما يوافق شيوخه الحجازيين فيما اختاروه .

وفائه .

في سنة ١٥٤ هـ تقريباً توفي أبو عمرو في الكوفة عند عودته من دمشق حيث كان في زيارة لوالها عبد الوهاب من بني الهباس . قال أبو عمرو الأسدی : لما أتى نبي أبي عمرو أنيت أولاده فمزيتهم عنه ، فأتى منهم إذ أقبل يونس بن حبيب فقال : نزيك وأنتنا بمن لا ترى شيئاً له آخر الزمان . والله لو قسم علم أبي عمرو وزهده على مائة إنسان لكانوا كلهم علماء وزهاداً . والله لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لسره ما هو عليه . ويروي ابن الجوزي أن قراءة أبي عمرو في القرن الثامن ومفتتح التاسم كان عليها الناس بالشام والحجاز واليمن ومصر . وقد كانت إلى عهد قريب منتشرة بصعيد مصر ، ثم طفت عليها رواية حفص من حاصم . رحم الله أبا عمرو رحمة واسعة .

هبة السائر أصم فراج

عمر بالمجمع القوي

مصادر البحث :	(١) الفسر	(٢) إتحاف فضلاء البصر
(٣) المكرر	(٤) غاية النهاية	(٥) الأغان
(٦) ابن خلسكان	(٧) بنية الرواة	(٨) نزعة الألبا
(٩) أخبار النفاة	(١٠) دائرة المعارف الإسلامية	
(١١) سجع الأدباء		